Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (2) August (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

حرب الخليج الثالثة واحتلال العراق ٢٠٠٣

The Third Gulf War and the occupation of Iraq 2003

م.م. رعد صابر راضي

كلية العلوم السياحية / قسم الدراسات الفندقية الجامعة المستنصرية

Mustansiriyah University

اشراف

أ.د. ابراهيم المرسي العدل
كلية الاداب / جامعة المنصورة
Ib-aladl@yahoo.com

أ.د. وجيه علي ابو حمزة
كلية الاداب / جامعة طنطا
Wageehabohamza1@gmil.com

Raad.s@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

Since the events of 9/11/2001 and the United States' occupation of Afghanistan, it began to define its second target, and Iraq was, with its weight in the region and a constant threat to its interests. Charges were brought against it, it was put under the accusation, and the local and international media street was mobilized against it, until they were able to form an alliance whose mission was War on Iraq, overthrowing its government, and occupying it in any way.

Military operations began on the morning of 3/21/2003, and unequal battles began from the two warring sides. The United States is the only superpower that has dominated the world for decades, supported in this by its ally Britain, which is the second superpower in the world, while we find that Iraq is exhausted and tired after Fighting the longest wars of the twentieth century with neighboring Iran 1980 - 1988, followed by the invasion of Kuwait in 1990 and then the Second Gulf War in 1991, which resulted in an economic blockade that continued until the occupation of Iraq in 2003.

Therefore, the United States and its ally, Britain, were able to control and occupy Iraq after exhausting Iraq for years, starting a new page in Iraq's contemporary history.

المستخلص:

منذ احداث ٢٠٠١/٩/١١ واحتلال الولايات المتحدة الامريكية لافغانستان, بدأت بتحديد هدفها الثاني, فكان العراق بما يحمله من ثقل في المنطقة وتهديدا دائما لمصالحها, فتم كيل التهم اليه ووضعه تحت دائرة الاتهام وتحشيد الشارع الاعلامي المحلي والعالمي ضده, حتى تمكنوا من تكوين تحالف مهمته الحرب على العراق واسقاط حكومته واحتلاله بأي شكل من الاشكال.بدأت العمليات العسكرية صبيحة يوم ٢٠٠٣/٣/٢١,وانطلقت معارك غير متكافئة من الجانبين المتقاتلين, فالولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة المهيمنة على العالم منذ عقود, تدعمها في ذلك حليفتها بريطانيا وهي الثانية تمثل قوة عظمى في العالم, بينما نجد ان العراق منهكا ومتعبا بعد خوض اطول الحروب في القرن العشرين مع الجارة ايران ١٩٨٠ – ١٩٨٨, تلتها غزو الكويت ١٩٩٠ ومن ثم حرب الخليج الثانية ١٩٩١, والتي انتجت بحصار اقتصادي استمر حتى احتلال العراق ٢٠٠٣.لذا فقد تمكنت الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا من السيطرة على العراق واحتلاله بعد انهاك العراق لسنوات

لتبدأ صفحة جديدة بتاريخ العراق المعاصر.**الكلمات المفتاحية:قوات الطرفين وبدء العمليات العسكرية. استراتيجية الصدمة والرعب.معارك بغداد. انتهاء العمليات العسكرية.**

مقدمة:

ان المجتمع الانساني متفق على نبذ اي فعل يخالف القيم الانسانية أو يسبب ضرراً لمصلحة مشتركة, أو يشكل خطراً على السلم والامن الدوليين, وان الحديث عن حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ واحتلال العراق ما هو الى تجليا ونتيجة قادتنا ايها السياسات الرعناء التي اتسمت بها الحكومة العراقية بعد تسلم صدام حسين زمام امورها منذ العام ١٩٧٩, وكان خصم العراق الاخير هو الولايات المتحدة الامريكية القوة العظمى الوحيدة في العالم, وتعد الولايات المتحدة الدولة العظمى الوحيدة لما تملكه من مقومات القوة من موقع جغرافي ومساحة واسعة وتقدم علمي وتكنولوجي, كل هذه العوامل وغيرها عززت من قدرتها السياسية والعسكرية, بينما نجد العراق منهكا ومتعبا من الحروب والسياسات التي ادت الى عزلته عن العالم وتراجعه عن سكة التقدم وتخلفه لسنوات طويلة.

مشكلة البحث:

تتركز مشكلة البحث في ان حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ قد فرضتها الولايات المتحدة الامريكية على العراق فرضا, وان القرار قد اتخذ فعلا لاسقاط حكومة العراق.

فرضية البحث:

يحاول البحث اثبات فرضية مفادها ان العراق ظلم من قبل الولايات المتحدة الامريكية وتم فرض حرب ضروس عليه رغم عدم صلته بدعم الارهاب وعدم تكافؤ القوات بين الطرفين, ولإثبات صحة هذه الفرضية يسعى البحث للإجابة عن هذه الاسئلة:

١- ما هي الاسلحة التي استخدمتها الولايات المتحدة ضد العراق؟
٢- هل الشعب العراق له علاقة بسياسات النظام قبل عام ٢٠٠٣؟
٣- هل هناك تكافؤ بين قوات الطرفين؟
٤- كيف دافع العراقيون عن ارضهم رغم التقدم الامريكي بالمجالات كافة؟

منهجية البحث:

عمد الباحث الى استخدام المنهج التاريخي كونه البناء الاساس المستند عليه, وكذلك المنهج الوصفي القائم على وصف الاحداث التاريخية عن طريق جمع المعلومات والمصادر وتنظيمها وعرضها بنحو مقبول وحيادي وفق رؤية علمية تاريخية, وقد اتبع الباحث الطريقة الامريكية في تدوين المصادر.

هيكلية البحث:

في ضوء ما جاء في اشكالية البحث وفرضيته ولأهمية الموضوع وتعدد محاوره التاريخية والسياسية, تضمن البحث مقدمة وفصلان مع خاتمة واستنتاجات.**جاء الفصل الاول بعنوان (قوات الطرفين وبدء العمليات العسكرية), وقد قسم الى:**

اولاً: قوات الطرفين.

ثانياً: بدء العمليات العسكرية.

ثالثاً: استخدام استراتيجية الصدمة والرعب.

بينما جاء الفصل الثاني بعنوان: (معارك بغداد وانتهاء العمليات العسكرية), وقد قسم الى:

اولاً: معراك بغداد.

ثانياً: انتهاء العمليات العسكرية.

ثم اختتم الباحث دراسته بالخاتمة التي لخصت تلك الدراسة, لينتهي البحث بجملة من الاستنتاجات بمثابة ثمرة البحث الذي خضنا فيه, ويأمل الباحث ان يقدم شيئاً مفيداً لبلده وللباحثين في هذا المجال.

الفصل الاول: قوات الطرفين وبدء العمليات العسكرية.

"الغزو الأمريكي للعراق", "درع الحرية", "حرب تحرير العراق", "حرية العراق", هي بعض من أسماءٍ كثيرةٍ استخدمت لوصف العمليات العسكرية التي وقعت في العراق من ٢٠/٣-١/٥/٢٠٠٣, والتي انتهت بإحتلال العراق عسكرياً من قبل الولايات المتحدة وحلفائها, بينما أطلق المناهضون على هذه الحرب تسمية "حرب بوش" أو "حرب احتلال العراق", أما القيادة العراقية فقد أطلقت عليها "معركة الحواسم", لكن يبقى الاسم التاريخي الشائع لهذه الحرب هو حرب الخليج الثالثة.

١. **قوات الطرفين المتحاربين:**

❖ **القوات الامريكية البريطانية:**

تعد الولايات المتحدة الدولة العظمى الوحيدة لما تملكه من مقومات القوة من موقع جغرافي ومساحة واسعة وتقدم علمي وتكنولوجي, كل هذه العوامل وغيرها عززت من قدرتها السياسية والعسكرية, فهي تمتلك وحليفتها بريطانيا قواتً بحرية في الخليج العربي والبحرين الاحمر والابيض, ويمكن اجمالها بما يأتي: (الفالوجي, ٢٠٠٣, ١٠٧)

أ. اربع حاملات طائرات في الخليج العربي.

ب. حاملة طائرات في كل من البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط.

ت. حاملة طائرات بريطانية في البحر الاحمر.

وكل حاملة ترافقها عدد من القطع البحرية لحمايتها من التهديدات, وهذه القطع مع الحاملة تشكل مجموعة قتالية, وهذه المجموعات القتالية تشكل اسطولاً مقره في مملكة البحرين, ويمكن ان تحمل حاملة واحدة منها (٩٠) طائرة مقاتلة و(٣٤) طن من المقذوفات و(٥٠٠٠) مقاتل, فضلاً عن منصات لاطلاق الصواريخ الاستراتيجية من طراز توماهوك. (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢١٢)

اما القوات الجوية فتشمل اسطولاً للنقل الجوي الاستراتيجي وطائرات استطلاع وطائرات القصف الاستراتيجي والتعبوي, وقد اشتركت في الحرب على العراق طائرات من طراز (B52) مجهزة بعتاد الهجوم المباشر نوع (GADAM) التي توجه اهدافها عن طريق الاقمار الاصطناعية.

وبالنسبة للقوات البرية فقد ساهمت منها في الحرب كل من الفرقتان الثالثة والرابعة, والفرقتان (٨٢ و ١٠١) المحمولتان جواً, ولواء (١٧٣) المحمول جواً, وفرقة المارينز الاولى, وامتازت القوات الامريكية الثلاثة بقدرتها على ادارة العمليات المشتركة (البرية والبحرية والجوية) رغم تعقيداتها, فهي تحتاج الى تنسيق متواصل وتدريب عالٍ. (كوردسمان, ٢٠٠٣, ١٢٠)

❖ **القوات العراقية:**

يقع العراق في الجنوب الغربي لقارة آسيا, ويعد دولة شبه قارية لاطلالته الضيقة على الخليج العربي, مما دفعه لإنشاء جيش كبير وقوة جوية ذات مصادر تسليحية مختلفة, إلا ان قدراته العسكرية تلك انحدرت الى خمس ما كانت عليه في حرب ١٩٩١, ولا يمتلك قوة بحرية مطلقاً, اما قوته الجوية فأصبحت ضعيفة وقديمة, فضلاً عن انها خسرت معظم طائراتها في القصف الجوي الاول في ٢٠/٣/٢٠٠٣, ناهيك عن مصادرة (١٣٥) طائرة ارسلت الى ايران للحفاظ عليها من التدمير قبل حرب ١٩٩١ بموجب ميثاق, لكن ايران اخلت بالميثاق ولم تعيدها وعدّتها تعويضاً لخسائرها في الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٠-١٩٨٨). (الحمداني, ٢٠٠٧, ٢٥٠)

اما قواته البرية فتشمل فيلقين حرس جمهوري مكونة من ست فرق, وخمسة فيالق جيش تؤلف (٢٦) فرقة تضم بمجموعها ١٩٩٠ دبابة و٢٥٠٠ قطعة مدفعية, ودفاع جوي قديم الطراز يفتقر الى الجهوزية, ولم يتم تطوير هذه الاسلحة منذ ايام الحرب العراقية الايرانية, ناهيك عن كشف اسرارها في عدوان حرب الخليج الثانية ١٩٩١. (كلارك, ٢٠٠٤, ٣١-٣٢)

❖ **مقارنة بين قوات الطرفين:**

ت	الولايات المتحدة الامريكية	ت	جمهورية العراق
١	ظمى	١	مية
٢	ية استراتيجية تضم قاذفات ومقاتلات للقصف والقت م الارضي تعمل في كافة الاجواء.	٢	ة متواضعة في حجمها وعدد طائراتها تعمل بنظا ولم تشارك في المعارك لعد قدرتها على المواجه

٣	ية استراتيجية تضم اساطيل مؤلفة من حاملات طائرا ، وسفن شحن للجنود ومواد القتال.	٣	ية لا تمتلك مقومات القوة البحرية عدا بعض الزو ل.
٤	خ استراتيجية بعيدة المدى تطلق من البر والبح ت بشكل فعال وبدقة اصابة عالية وقوة تدميرية فائ	٤	خ قصيرة المدى والفاعلية تم تدمير القسم الاعظم فرق التفتيش الدولية.
٥	رية تشمل ثلاث فرق مشاة وآلية وفرقتان محمولة ، (١٧٣) المحمول جواً, مدربة بشكل ممتاز لها ال وقدرة نارية كثيفة بإسناد مدفعي وطائرات سمتية من	٥	رية كبيرة تنقصها التدريب والتسليح والتجهيز بإسنا ، ودفاعي جوي قديم وضعيف لا يرقى الى ت سمتية لم تشترك في القتال لضعف تسليحها.
٦	معها دول كبرى مثل بريطانيا	٦	يها حليف.
٧	قدرات نووية واسلحة دمار شامل	٧	ك اسلحة دمار شامل.

١- المصدر: نقلاً عن: السبعاوي, د. احمد يونس, ٢٠١٢, احتلال العراق في المنظور الاستراتيجي الامريكي "الواقع والمستقبل", دار آمنة للنشر والتوزيع, عمان, ص ٢١٤.

وعن طريق دراسة جدول مقارنة القوات نلاحظ الفرق الكبير في القدرات البرية والجوية والبحرية والصاروخية, ناهيك عن النووية, فضلاً عن الدعم السياسي والحلفاء مع الجانب الامريكي, مما يرجح كفة القوة لصالح الولايات المتحدة بشكل يخل بالتوازن الاستراتيجي, ويجعل العراق قوة غير قادرة على المواجهة والصمود بوجه القوة الغازية.

٢. **إعلان بداية الحرب:**

في الساعة ٥:١٥ بالتوقيت المحلي لمدينة بغداد من صباح يوم الخميس الموافق ٢٠٠٣/٣/٢٠ بدأت الحرب الأمريكية-البريطانية على العراق بقصف جوي على العاصمة بغداد, في عملية قال الناطق باسم البيت الأبيض آري فليشر بأنها الأخيرة في نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية والإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين الذي رفض إنذاراً برحيله, وبالتزامن مع ذلك انطلقت حملة جوية أُعد لها مسبقاً أسقطت خلالها أكثر من ١٣٠٠ قذيفة صاروخية, رافقها رشقات صاروخية من طراز "توماهوك" نحو أهداف استراتيجية في بغداد ومحيطها. (كلارك, ٢٠٠٤, ٤٣-٤٥)وبعد بدء الهجوم الجوي على العراق بـ ٤٠ دقيقة وجّه الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش خطاباً إلى الشعب الأمريكي والعالم استغرق خمس دقائق, أعلن فيه عن بدء العمليات العسكرية الحربية "درع الحرية" ضد العراق, مشيراً إلى إن الحرب اندلعت "لنزع أسلحة العراق وتحرير شعبه وحماية العالم من خطر قائم ومحدق", مؤكداً إن ٣٥ دولة تقدم الدعم الحيوي الحاسم لهذه الحرب.كما قامت الولايات المتحدة بإبلاغ إسرائيل قبل ساعة ونصف الساعة من بدء الهجوم بأن قوات خاصة أمريكية انتشرت في غرب العراق تتولى تأمين الجزء الغربي من الأراضي العراقية, لضمان عدم تعرض إسرائيل لأي هجوم صاروخي على غرار ما حدث في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١, حينما أطلق العراق عدداً من الصواريخ تجاه إسرائيل, وذلك وفاءً بالتزام واشنطن المعلن لحماية إسرائيل, على الرغم من معرفتهم بأن العراق لا يمتلك صواريخ تستطيع الوصول الى تل أبيب, بسبب تدميرها على يد فرق التفتيش الدولية في المدة التي أعقبت حرب الخليج الثانية، كما اتصل الرئيس بوش بشركائه في الحرب وهم كل من الرئيس الاسباني والرئيس الاسترالي, وقام بوش بإبلاغ رؤساء الكتل في الكونغرس موضحاً لهم بأن الولايات المتحدة ستدخل الحرب حتى إذا رحل صدام حسين عن العراق, لكنه سيكون دخولاً سلمياً. (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢١٠، ٢١٨).وفي الوقت ذاته اتصلت كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومي بالسفير السعودي بندر بن سلطان وأبلغته إن الحرب ستنشب, فرد عليها: "وهل أُبلغ أحد قبلي"؟ فأجابته لا, رغم علم اسرائيل واسبانيا وغيرهم, هنا قفز بندر وصاح: "فليسجل التاريخ إنني أول من عرف بالأمر", طالباً منها ابلاغ بوش إذا ما بدأت الحرب سيكون حالقاً لذقنه, "وإن قلوبنا ودعاؤنا مع الولايات المتحدة وشركائها", اتصل بعدها بولي العهد السعودي مبلغاً إياه "إن النشرة الجوية تقول إن مطراً غزيراً سيهطل على الروضة", وهذه كناية متفق عليها بينه وبين ولي العهد عند بدء الهجوم على العراق. (وودورد, ٢٠٠٤, ٥٦١)

نعم سيسجل التاريخ إنه أول عربي يعرف بمقتل أخيه العربي على يد أحد أكبر المجرمين في تاريخ الانسانية وأعطى وعداً بحلق ذقنه فرحاً, وإن قلبه ولسانه من مكان الحرمين الشريفين أطهر بقاع الأرض قد تهللوا بالدعاء لهذا المجرم وشركائه لقتل أخيه العربي.ومع بدء العمليات الحربية اتصل بوش هاتفياً مع الرئيس المصري حسني مبارك، وأوضح الرئيس الأمريكي العوامل التي دفعت إلى بدء العمليات العسكرية في العراق, ومن جانبه طالب الرئيس مبارك بضرورة العمل من أجل وقف إطلاق النار في أسرع وقت ممكن، وتجنب التوسع في العمليات العسكرية حفاظاً على أرواح الشعب العراقي. (الاهرام, ٢٠٠٣, ٤٢٤٧٣)وأعلنت وزارة الحرب الأمريكية عن بدء الحرب على العراق بإطلاقها (٤٠) صاروخاً من طراز كروز وتوماهوك على بغداد وحدها، فضلاً عن إطلاقها صواريخ أخرى على محافظات أخرى من العراق, وأكد البنتاغون بأن صاروخاً من نوع كروز أطلق على موقع يعتقد بوجود الرئيس العراقي فيه.وأما الجانب العراقي فقد جاء نافياً لتلك الأنباء عن طريق نشره البيان الأول الذي أكد فيه إعلان الحرب على العراق بإطلاق العدو (٧٢) صاروخاً عابراً للقارات عليه في اليوم الأول للحرب، فضلاً عن نشره خبراً يؤكد اعتراف الجانب العراقي بأن الهجوم الصاروخي الأول على بغداد استهدف سكن الرئيس العراقي ومنازل زوجته وبناته الثلاث في منطقة الدورة ببغداد غير أن أياً منهم لم يُصب بأذى. (هيكل, ٢٠٠٣, ٤٣٢)وفي الوقت نفسه وجّه الرئيس العراقي صدام حسين خطاباً إلى الشعب العراقي يعلن فيه عن بدء العدوان, وقد حرص الرئيس العراقي في خطابه على ذكر التاريخ الميلادي والهجري ليوم الهجوم, ليثبت إنه نجا مما وصفه مسؤولون أمريكيون بأنها ضربات قاصمة للإطاحة بالقيادة العراقية, وقد علق مصدر أمريكي مسؤول بأن الولايات المتحدة لم تتأكد فعلاً فيما إذا كانت الصورة التي ظهرت في التلفزيون العراقي هي للرئيس العراقي السابق صدام حسين أو لشخصٍ ثانٍ. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٨٢)

وكانت القيادة المركزية الأمريكية قد أعلنت إن قواتها قد ألقت مئات الآلاف من المنشورات فوق الأراضي العراقية شرحت فيها بوضوح للجنود العراقيين طريقة الاستسلام بعد نشوب الحرب, وفي نفس الوقت قرر البرلمان التركي السماح للطائرات الأمريكية باستخدام المجال الجوي التركي في الهجوم على العراق، بعدما رفضت تركيا استخدام أراضيها في الهجوم عليه.وفي هذه الأثناء دخلت قوات أمريكية وبريطانية ضخمة تدعمها المدرعات جنوب العراق, بأكثر من ٢٠٠٠ جندي من رجال الفرقة الأولى "المارينز" والفرقة الثالثة من المشاة الأمريكيتين عابرتين الحدود العراقية مسافة كيلومتر ونصف الكيلو داخل الأراضي العراقية, وتم إنزال جنود خلف الخطوط العراقية, رافق ذلك عبور قوات خاصة امريكية – بريطانية مشتركة باتجاه شبه جزيرة الفاو. (كلارك, ٢٠٠٤, ٤٣-٤٥).

٣. إعلان استراتيجية الصدمة والرعب على العراق:

صعّدت القوات المتحالفة من عملياتها الحربية في اليوم الثاني للحرب، فقد شنت القاذفات الأمريكية الثقيلة وحاملات الطائرات غارات جوية بالغة الشراسة ضد العاصمة بغداد ومدينتي كركوك والموصل, في حين واصلت القوات الأمريكية والبريطانية تقدمها في جنوب العراق, لقد أعلنت القيادة الأمريكية ومنذ اليوم الأول من الحرب عن نواياها الاستعمارية, فعلى بُعد عدة كيلومترات من ميناء أم قصر العراقي قاموا بإنزال العلم العراقي ورفعوا مكانه العلم الأمريكي, إشارة منهم الى إن العراق قد تحول الى مستعمرة أمريكية. (الفالوجي, ٢٠٠٣, ١١٥)وقد اعترف مسؤولون أمريكيون إن ضربات اليوم الثاني شملت إلقاء (٣٠٠٠) قنبلة موجهة بالأقمار الصناعية، وبلغت الطلعات الجوية نحو قلب القيادة العراقية في بغداد نحو ٣٠٠٠ طلعة, كما أطلقت السفن الحربية (٧٥٠) صاروخاً من البحر, فضلاً عن إشراك قاذفات (B-52) الأمريكية من قاعدة فير فورد غرب بريطانيا في هذه العمليات, محدثة دماراً هائلاً بالبنى التحتية والفوقية إضافة الى أهداف استراتيجية تحت اسم "الصدمة والرعب". (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢١٨)وللأهمية التي توليها الادارة الامريكية للنفط, ففي واحدة من عملياتها القتالية احتلت القوات الامريكية منشآت لتصدير النفط جنوب العراق, واكد ذلك ما ذكرته صحيفة النيويورك تايمز في ٢٠٠٣/٣/٢٢, وقالت الصحيفة ان مجموعة من الضفادع البشرية احتلت نشأتي تصدير للنفط العراقي بعد القضاء على حراسها, إذاً فهي معركة من اجل النفط, (كلير, ٢٠٠٧, ١٥٨)وقد هزّت انفجارات مجمّع الرئيس العراقي صدام حسين في وسط بغداد وارتفعت أعمدة الدخان في سماء المدينة, وتعد غارة اليوم الثاني هي الأعنف منذ بدء الحرب, وعلّق المسؤولون الأمريكيون إن الحرب الرئيسة التي أطلق عليها اسم "الصدمة والرعب" قد بدأت.وواجهت القوات العراقية الهجوم ببسالة وأطلقت وسائل الدفاع الجوي العراقية نيرانها بكثافة خلال الغارات في سماء بغداد ومدينتي الموصل وكركوك وباقي المدن العراقية, واعترف الأمريكان بقوة المواجهة العراقية, إذ أكد الجنرال تومي فرانكس قائد العمليات الأمريكية ضد العراق "إن نتيجة المواجهة معروفة, وإن مهمة قوات التحالف لن تكون سهلة ولها أهداف واضحة وهي نزع سلاح العراق وقلب النظام الذي رفض نزع أسلحته بطريقة سلمية".كما واجهت القوات الأمريكية مقاومة كبيرة من قبل القوات العراقية قرب الناصرية شمال البصرة على نهر الفرات, أوقفت على إثرها تقدمها لأن الناصرية نقطة عبور رئيسة على نهر الفرات, وتقع على مسافة ٣٧٥ كم جنوب شرق بغداد (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٨٨).ونقلت وكالة الأنباء العراقية بأن (٣٧) مدنياً أصيبوا

بجروح خلال الغارات الأولى على بغداد، وقالت بأن الرئيس العراقي صدام حسين أمر أن ينال كل عراقي يسقط طائرة للعدو مكافأة قدرها (١٠٠) مليون دينار عراقي, و(٥٠) مليون دينار عراقي لكل من يأسر جندياً من الأعداء, و(٢٥) مليون دينار عراقي لكل من يقتل عسكرياً. ولعل أكثر التقارير المعبرة عن هذه الحرب الذي كتبه الصحفي البريطاني "روبرت فيسك", فهو على عكس من يصف هذه الحرب على إنها ذات بعد انساني وإن الضربات جراحية, بل يراها على إنها حرباً ذات شقاء وتشويه للأحياء, فكل أسرة عراقية لها قريب أو جار أو صديق قتل أو جرح فيها, وفيها مشاهد للرعب, وكان التلفاز العراقي ينقل جانباً منها, في حين إن التلفاز الأمريكي يعرض مشاهد أخرى مختلفة تماماً عما يعرضه التلفاز العراقي. (وودورد, ٢٠٠٤, ١٩٩)وكانت وسائل الإعلام العربية والعالمية تولي اهتماماً متزايداً بتصريحات وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف على مجريات الحرب, فقد نشرت أول مؤتمر صحفي له بعد إعلان الحرب والذي نفى فيه بأن تكون أم قصر قد سقطت بيد قوات التحالف.وأعلن طرد العراق كادر محطة CNN الأمريكية من العراق, إذ أكد أن هذه المحطة طُردت من البلاد لأنها أصبحت قناةً لنشر الأكاذيب والإشاعات, وكانت المحطة قد نقلت جواً صوراً حيةً لتقدم القوات الأمريكية في الصحراء العراقية انطلاقاً من الحدود الكويتية. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٩٠)وفي اليوم الثالث للحرب ٢٢ آذار توغلت الفرقة الثالثة الأمريكية الى عمق (١٥٠) ميلاً, واعترضهم مقاتلون من تشكيلات فدائيو صدام وهم يلقون بأجسادهم وبشكل اقتحامي على الدبابات الأمريكية معتمدين تكتيكات استشهادية. ولا شك إن هذا الصمود دفع بقيادة التحالف إلى تغيير استراتيجيتها الحربية بتطويق المدن وتجنب دخولها, ومع تقدم القوات الأمريكية شمالاً لم يستسلم أحد من الجنود العراقيين, بل كانوا يقاتلون ببسالة رغم الإمكانات البسيطة المتوفرة لديهم, واستمرت القوات الأمريكية في مواصلة تقدمها شمالاً تاركة البصرة تحت مسؤولية القوات البريطانية, واصطدموا بقوات الفرقة (١١) العراقية المدافعة عن مدينة الناصرية, مما اضطرها الى ترك قسماً من قوات الفرقة الثالثة الأمريكية لمعالجة الأهداف في الناصرية, متكبدة خسائر كثيرة قبل السيطرة عليها, بعدها اتجهت فرقة المارينز الاولى الى مدينة الكوت تمهيداً لمواصلة التقدم شرق نهر دجلة بإتجاه بغداد (القصاب, ٢٠٠٧, ٢٥١).أما العاصمة بغداد فقد شهدت حركة نزوح واسعة تجاه المناطق الشرقية والشمالية الشرقية والغربية وذلك هرباً من هول الهجمات الصاروخية التي أخذت تشن على بغداد, وخوفاً من تصريحات الرئيس العراقي صدام حسين من إنه سيقوم بإحراق المنطقة واشعالها إذا ما تم غزو العراق.دخلت الحرب مرحلة جديدة عندما قررت قيادة التحالف نقل المعارك إلى جنوب بغداد مباشرة, وقد بدأت بإندلاع معركة ضارية بين طائرات الهليكوبتر الهجومية الأمريكية المضادة للدبابات من طراز أباتشي, وفرقة المدينة العراقية المدرعة على بعد (١٠٠) كم من بغداد دامت ثلاث ساعات, وأعرب الطيارون الأمريكيون بعدها عن ذهولهم لأداء اللواء بعد فشلهم في اختراقه, بينما أعلنت القيادة العراقية إسقاط طائرتي أباتشي وأسر قائديها، لكن واشنطن أصرت على إنها لم تفقد سوى طائرة واحدة. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٩٢)وفي الاسبوع الثاني للحرب واجهت القوات الامريكية مقاومة عنيفة صادرة من تشكيلات غير نظامية[١], صاحب ذلك أجواءً رديئة وهبوب عواصف رملية جعلت مدى الرؤيا قليل جداً, مما أعاق تقدم القوات المحتلة. (الحمداني, ٢٠٠٧, ٣١٦)

إن المقاومة الباسلة التي سطرتها القوات العراقية المسلحة على مشارف مدن الجنوب أربكت الأمريكيين والبريطانيين وحلفائهم بشكل كبير, إلى درجة أجبرت القيادة الأمريكية على الاعتراف بالمقاومة الكبيرة التي خاضتها القوات المسلحة العراقية, وأمام تلك المقاومة العراقية الباسلة لم يكن أمام القوات الأمريكية والبريطانية إلا تطبيق نظرية الإعلام المغلق للحرب, على الرغم من إنها جاءت إلى العراق وهي تحمل على متن آلياتها العسكرية أعداداً كبيرةً من الصحفيين والإعلاميين, ظناً منهم بأن الحرب ليست بالصعوبة المتوقعة (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٩٤).وإن ما نشرته صحيفة الجزيرة السعودية عن امتلاء الثلاجات في المستشفى العسكري الكويتي بما يقرب من ٨٠٠ جثة تحت رقابة صارمة من الشرطة العسكرية الأمريكية, لدليل واضح على تكبد العدو خسائر كبيرة والتكتم على هذه الخسائر بتطبيق نظرية الاعلام المغلق, علاوة على ذلك أورد التقرير الروسي للمخابرات حول سير العمليات العسكرية من بدايتها في ٢٠ آذار وحتى يوم ٢٧ آذار, وهو تقرير يمكن الاعتماد عليه في ذكر الخسائر للأطراف المتقابلة في قواطع العمليات, إذ ذكر التقرير تعرض القوات الأمريكية في قاطعي النجف وكربلاء لهجوم على امتداد الجبهة. واستغلت القوات العراقية فرصة الأجواء الرديئة لتعزيز قواتها المهاجمة, فانقضت على وحدة من الفرقة الثالثة الأمريكية في معركة خاطفة تم على إثرها هزيمة الوحدة الأمريكية وتفرق جنودها, تاركة خلفها ناقلة مدرعة وعربة انقاذ ودبابتين نوع ابرامز, فضلاً عن قتل ما بين (١٨-٢٢) جندياً, وجرح أكثر من (٤٠) آخرين بفعل الهجمات العراقية. (الفالوجي, ٢٠٠٣, ١٥٣-١٥٤)وفي المقابل وجه الرئيس العراقي صدام حسين خطاباً استمر (٢٠) دقيقةً أشاد فيه بأداء الجيش العراقي والمقاومة الشعبية، وبدا الرئيس العراقي في صحة جيدة وقد ارتدى بزته العسكرية, وأشاد في خطابه باللواء (٤٥) في الفرقة (١١) وهو اللواء الذي قاد عملية المقاومة في أم قصر، مؤكداً إن القوات الأمريكية والبريطانية تورطت

في العراق، ووصف هذه المرحلة بأنها "أيام الحواسم", كما دعا في رسالتين موجهتين إلى الفدائيين والعشائر العراقية إلى مقاومة القوات الأمريكية والبريطانية من دون انتظار الأمر من المراجع الاعتيادية, جاء ذلك في رسالة تلاها وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف عبر التلفزيون العراقي. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٩٥)وفي ٣/٢٨ صرّح قائد القوة البرية المهاجمة الجنرال "وليم والس" للصحفيين قائلاً: "إن التحدي الذي نواجهه يختلف عما خضناه من حروب سابقة, لأننا نواجه مقاومة في جميع قواطع العمليات", وعلّق مسؤول آخر بأن العراقيين "ليسوا خائفين ومذعورين كما اعتقدنا". (هيرش, ٢٠٠٥, ٢٤٩)وفي الوقت ذاته حذر برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة من إن العراق سيحتاج على الأرجح إلى أضخم عملية إغاثة إنسانية في التاريخ لإطعام شعبه عاجلاً بعد الغزو الذي تقوده الولايات المتحدة ضد العراق, وقد توجهت قوافل الإغاثة من مصر والكويت والإمارات إلى العراق، وأعلنت لبنان فتح جميع مستشفياتها لاستقبال الجرحى العراقيين جراء الحرب.وفي سعيه إلى استثارة حماسة الجنود الأمريكيين في القيادة المركزية للقوات الأمريكية في فلوريدا، ألقى الرئيس الأمريكي جورج بوش كلمة في قاعدة ماكديل الجوية قال فيها "إن صدام حسين يفقد السيطرة على العراق يوماً بعد يوم"، مضيفاً "إن طريق الحرب ليس سهلاً وقد يكون طويلاً", وذلك تمهيداً لتهيئة الرأي العام الأمريكي حول الخسائر التي مُني بها الجيش الأمريكي في العراق خلال أيام الحرب الأولى. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ٩٩)فيما قام الرئيس المصري حسني مبارك باتصال هاتفي مع الرئيس الأمريكي جورج بوش, ومع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير, طلب فيها ضرورة العمل على وقف إطلاق النار في العراق, محذراً من خطورة التوسع في الأعمال العسكرية. (الاهرام, ٢٠٠٣, ٤٢٤٨٠)أعلن العراق عن إسقاط طائرة مقاتلة بريطانية من طراز "هارير" في القادسية, وإسقاط طائرة "أباتشي" في البصرة, وإسقاط طائرة من طراز "بريداتور", فضلاً عن تدمير أربع دبابات أمريكية وبريطانية وقتل طواقمها, ولم تكن المقاومة العراقية مرتكزة على العراقيين فقط, فقد هاجم شاب مصري شاحنة جنودٍ في معسكر الأديرع الأمريكي في الكويت، القاعدة الخلفية للعدوان على العراق، حيث أصيب (١٥) جندياً في هذا الحادث. (الاهرام, ٢٠٠٣, ٤٢٤٨٣)

وفي تصعيد ملحوظ للحرب الأمريكية البريطانية شهد اليوم الثاني عشر من الحرب معارك ضارية بين القوات الأمريكية وميليشيات عراقية ووحدات من الحرس الجمهوري على نهر الفرات في الناصرية والسماوة والنجف وكربلاء والحلة قرب مرقد النبي أيوب[ع] في مدينة بابل القديمة التي تعد أقرب موقع قتال من بغداد منذ بداية الحرب وحتى اليوم الثاني عشر.بينما استمرت المعارك العنيفة بين القوات البريطانية والقوات العراقية المدافعة عن البصرة الاستراتيجية, في تصميم واضح من القيادة العسكرية للتحالف على ملاحقة أفراد الميليشيات العراقية التي تعوق تقدمها واندفاعها نحو بغداد, كذلك استمر ضرب قوات الجيش العراقي ولا سيما الحرس الجمهوري الذي يسد الطريق إلى بغداد, وذكرت المصادر البريطانية إن نحو (٦٠٠) من أفراد الكتيبة (٤٠) في مشاة البحرية الملكية البريطانية المعروفين باسم "جرذان الصحراء" بدأوا هجوماً عنيفاً للاستيلاء على بلدة أبو الخصيب على بعد (١٠) كم جنوب شرق البصرة, ويُعد هذا الهجوم أول هجوم بري تشنه بريطانيا على طرف آخر منذ حرب الفوكلاند عام ١٩٨٢.وفي اليوم الثالث عشر للحرب صعّدت القوات الأمريكية والبريطانية من محاولاتها إحكام الطوق على النجف وكربلاء والبصرة, وتأمين مواقعها على مشارف الكوت استعداداً للانتقال إلى الخطوة المقبلة عندما تصبح جاهزة لمحاصرة بغداد, إذ اتسع نطاق المعارك على نحو غير مسبوق منـــذ بداية الحرب، واحتدمت الاشتباكات البرية وعمليات القصف والغارات الجوية لتشمل سائر المدن العراقية، والتي تحولت إلى ساحة مفتوحة لمعارك ضارية بين المقاومة العراقية والقوات الأمريكية والبريطانية, وأعلنت مصادر عسكرية أمريكية بارزة إن القوات الأمريكية تستعد لهجوم بري وشيك على بغداد خلال (٤٨) ساعة (الاهرام, ٢٠٠٣, ٤٢٤٨٥).

الفصل الثاني: معارك بغداد واحتلالها:

١. معارك بغداد:

تُعد بغداد ثقل الاستراتيجية الدفاعية للعراق, وكان المسؤول عن معركتها قُصي صدام حسين, ووُضعت تحت امرته فيلقين من الحرس الجمهوري, وبعد أسبوعين من القتال، اقتربت قوات التحالف من بغداد, إذ شهد يوم ٢٠٠٣/٤/٢ أولى المعارك الشرسة بين قوات الحرس الجمهوري العراقية والقوات الأمريكية على بعد (٥٠) كم من بغداد, فقد شنّت القوات الأمريكية هجوماً واسعاً مدعوماً بالمدرعات والقصف الجوي ضد اربعة مواقع لفرق الحرس الجمهوري جنوب بغداد، في حين قامت وحدات من الحرس الجمهوري العراقية بالتحرك من بغداد باتجاه الجنوب للتصدي للقوات الأمريكية المتقدمة وعرقلة تقدمها نحو بغداد, كما عزز الحرس الجمهوري مواقعه حول مطار صدام الدولي. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ١٠٩)وقد تركز هجوم القوات الأمريكية وحلفائها على بغداد عبر محورين رئيسين: الأول من مدينة الكوت جنوب شرق بغداد، والثاني تركز على كربلاء جنوب غرب بغداد، إذ تنتشر في محيط المدينتين قوات الحرس الجمهوري، لتشكل قوساً يعرقل القوات الأمريكية في أثناء تقدمها نحو بغداد, وقد أعلنت

القيادة الأمريكية إن قواتها استخدمت لأول مرة "القنابل العنقودية" المحرمة دولياً لقصف الآليات والمدرعات العراقية جنوب العاصمة بغداد, كما أعلنت عبورها نهر دجلة مما دفع وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف لعقد مؤتمر صحفي نفى فيه عبور القوات الأمريكية لنهر دجلة خلال تقدمها نحو بغداد, ومستنكراً استخدام الاسلحة المحرمة دولياً في الحرب. (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢٢٥)ومع حلول ٣ نيسان هاجمت القوات الأمريكية مطار صدام الدولي "مطار بغداد" الواقع على بعد (١٥) كم تقريباً غرب العاصمة بغداد, وقد سيطرت جزئياً على المطار وأغلقت المدخل الجنوبي لمدينة بغداد, وشارك في الهجوم أكثر من (١٠٠٠) جندي أمريكي, أعقبها هجوماً مضاداً من قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص العراقية تمكنوا خلاله استعادة اجزاء من المطار, لكن القوات الأمريكية وبدعم من قوتهم الجوية وصواريخ توماهوك وقنابل فراغية "صوتية" تمكنت من ايقاع خسائر بالغة بالقوات العراقية أجبرتهم على الانسحاب من المطار نهائياً مسيطرين عليه يوم ٢٠١٣/٤/٥. (الجوجري, ٢٠٠٥, ٥٧-٥٨)وفي الوقت نفسه عرض تلفزيون العراق صوراً للرئيس العراقي صدام حسين وهو يتجول مشياً على الأقدام في شوارع العاصمة العراقية، بعد ساعات من خطاب وجهه عبر التلفزيون إلى الشعب العراقي دعا فيه أهل بغداد إلى المقاومة, أما في البصرة فقد دخلت القوات البريطانية في قتال شوارع مع المقاومة العراقية داخل المدينة, واستشهد ثمانية من عناصر المقاومة المسلحة في القتال الذي وصف بأنه من أشرس المعارك التي وقعت في المدينة منذ أيام عديدة. قررت القيادة الامريكية إنهاء معركة بغداد وبأي ثمن, فاستخدمت أسلحة حديثة أُعلن عنها في وسائل الإعلام الغربية, إذ تمت الإشارة الى استخدام القنابل الصوتية, بينما أكدت تقارير إعلامية أخرى إن السلاح المستخدم هو قنابل كهرومغناطيسية تصيب دائرة معينة فتعطل الحواس وتؤدي الى الموت, وأكد ذلك أطباء عراقيون بأن الشهداء قد تحولت أجسادهم الى اللون الأزرق ونزف الدم من آذانهم وعيونهم من قوة القصف، وكانت وكالة "أسيوشيدت بريس" قد نشرت صوراً التقطت لأنصار الحرب في ٢٠٠٣/٣/٣٠ وهم يحملون لافتة كتب عليها "اقصفوا بالسلاح النووي مثلما فعلتم في هيروشيما وناغازاكي".

وفي اليوم التاسع عشر من الحرب ٧ نيسان، أخذت القوات الأمريكية والبريطانية تطبق فكي الكماشة لاستكمال احتلال العراق, فقد توغلت القوات الأمريكية في وسط بغداد، إذ وصلت إلى قصر الرئاسة الأساسي غرب بغداد ونشرت دبابات أمام وزارة الإعلام ودارت اشتباكات عنيفة في منطقة فندق الرشيد وسط بغداد، وفي الجنوب نجحت القوات البريطانية في بلوغ الحي القديم في مدينة البصرة وأعلنت القوات البريطانية إحكام سيطرتها على ما بين (٨٠-٩٠٪) من المدينة.وفي ٢٠٠٣/٤/٨ دارت معارك ضارية وسط بغداد شاركت فيها الدبابات الأمريكية والطيران في محيط قصر الرئيس صدام حسين، فيما أعلنت القوات الأمريكية إن قواتها أحكمت الطوق على العاصمة بغداد من جميع الجهات. (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢٢٧)وفي اليوم نفسه قامت القوات الأمريكية بقصف مقر قناة الجزيرة الفضائية وقناة أبو ظبي الواقع في مبنى سكني بين فندق المنصور ووزارة التخطيط العراقية في حي الوزارات في بغداد، مما أدى إلى استشهاد مراسل الجزيرة طارق أيوب, وبعد إصابة مقري الجزيرة وأبو ظبي، أطلقت دبابة أمريكية قذيفة على فندق فلسطين الذي يزدحم بالصحفيين الأجانب، فقتلت مصوراً لمحطة رويترز ومصور اسباني, وأثار استهداف صحفيين يقومون بمهمتهم في نقل حقيقة ما يجري في العراق، ويقيمون في أماكن معروفة لدى طرفي الحرب، موجةً من الاستنكار والغضب والتنديد في العالم ولا سيما في أوساط السياسيين والإعلاميين ومنظمات حقوق الإنسان. (الفهداوي, ٢٠٠٤, ١١٥)

وفي اليوم الحادي والعشرين من الحرب أي يوم ٢٠٠٣/٤/٩, أُحتلت بغداد من قبل القوات الأمريكية, وأعلنت القوات الأمريكية إنها تسيطر على الجزء الأكبر من بغداد، إلا إن المعارك لا تزال جارية، إذ إن هناك القوات غير النظامية وحدها لا تزال تقاتل في الجانب العراقي، في إشارةٍ إلى "فدائيي صدام".وأحكمت القوات الأمريكية قبضتها على معظم أنحاء بغداد بعد أن توغلت دباباتها داخل العاصمة من عدة محاور، وانتشرت في المناطق والتقاطعات والميادين والجسور المهمة, بينما خلت المدينة من أي رموز أو مظاهر للحكومة العراقية التي اختفى مسؤولوها, ولم يعرف مصير الرئيس العراقي صدام حسين وحكومته, ففي ٢٠٠٣/٤/٩ سقطت مدينة بغداد، ووقع العراق تحت الاحتلال بعد حرب غير متكافئة, وبسقوط بغداد انتهى النظام السابق الذي حكم العراق منذ عام ١٩٦٨.وكان أخر ظهور للرئيس العراقي السابق صدام حسين في العاصمة بغداد في يوم ٢٠٠٣/٤/٩ في منطقة الأعظمية أمام جامع أبو حنيفة النعمان الساعة الواحدة ظهراً، وقد رآه العديد من أهالي الأعظمية الذين قاموا بمصافحته ومعانقته. (الحمداني, ٢٠٠٧, ٢٢) وتأكد ذلك بعد ما بثت قناة أبو ظبي الإماراتية صوراً للرئيس العراقي السابق صدام حسين التقطت في أثناء الزيارة الأخيرة التي قام بها إلى مسجد أبي حنيفة النعمان في منطقة الأعظمية، وكانت الصور توضح بأنه صدام حسين وهو يرتدي البزة العسكرية، وكانت الجماهير تهتف بحياته "بالروح بالدم نفديك يا صدام" فيما قام هو بتحيتهم, وكانت منطقة الأعظمية قد تعرضت لقصف أمريكي مكثف بعد هذه الزيارة، ومن أبرز الذين ظهروا في هذه اللقطات ابنه الأصغر قصي الذي كان يشرف على الحرس الجمهوري.

وبثت قناة أبو ظبي آخر خطاب إذاعي سجله الرئيس العراقي صدام حسين في ٢٠٠٣/٤/٩, وفي الكلمة المسجلة قال: "إننا مصممون على الدفاع عن بلدنا وديننا حتى النهاية، ونحن واثقون إننا سننتصر في النهاية" وأضاف "إنه بصرف النظر عن الوقت اللازم لتحقيق النصر، وبصرف النظر عن أشكال الكفاح الذي قد يلزم, وبصرف النظر عن طول الاحتلال فإن حرية الشعب هي الأهم"[١].وفي الوقت الذي كانت جموع من الجماهير العراقية تحيي صدام حسين في الأعظمية يوم ٢٠٠٣/٤/٩، كانت هناك على الجانب الآخر وفي اليوم نفسه في ساحة الفردوس بالتحديد وسط بغداد، إذ أسقطت جماهير غفيرة من العراقيين قامت بإسقاط تمثالاً للرئيس العراقي صدام حسين وبمساعدة دبابة أمريكية, وبذلك يكون أولَ تمثالٍ يسقط في بغداد بعد دخول قوات الاحتلال الأمريكي–البريطاني للعراق. (الجوجري, ٢٠٠٥, ٢٢٩)

وبحلول الساعة (٧:٠٠) من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٣/٤/٩ بثت جميع الفضائيات العالمية والعربية صوراً لمدينة بغداد وهي تتعرض لعمليات سلب ونهب في ظل غياب السلطة المركزية.وذكر مراسلو وكالات الأنباء أن مواطنين عراقيين استغلوا فرصة غياب أي مظهر أمني في بغداد لاقتحام الوزارات والمصالح الحكومية ونهب كل ما يمكن أن تصل إليه أيديهم, وتعرض المخزن الرئيس للمواد التموينية العراقية للنهب، وكذلك مقر الأمم المتحدة في بغداد, وبثت قنوات التلفزيون الأجنبية والعربية تغطية حية لأعمال السلب والنهب التي وقعت بالمصالح العامة، ومنها المتحف الوطني ووزارة العدل، كما أذاعت لقطات لمواطنين يحيون القوات الأمريكية بترحيب بالغ[٢].ان حالة الفوضى وما صحبها من عمليات سلب ونهب واسعة النطاق تمت بتشجيع وتواطؤ من قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية، ضمن خطة مرسومة ومقصودة تستهدف تدمير البنى الفوقية والتحتية وأكبر عدد من المباني الحكومية والمرافق العامة المنتشرة في طول البلاد وعرضها، تمهيداً لدخول الشركات والاستثمارات الأمريكية والبريطانية لتقوم بإعادة تعمير البلاد وبناء ما تم تدميره وتخريبه, وسوف يتم ذلك بالطبع ضمن فاتورة وعائدات النفط العراقي.ويرى الباحث ان عمليات السلب والنهب والتخريب قامت بها فئات صغيرة جداً ليس لديها أي حس وطني أو قومي, لأنها قدمت خدمة جليلة لقوات الاحتلال التي ساهمت وبشكل كبير في عمليات السلب والنهب, إذ ان قوات الاحتلال قامت بسرقة الآثار والمواد النفيسة وتركت الباب مفتوحاً أمام ضعاف النفوس للتغطية على ما قامت بسرقته, والهدف من إباحة قوات الاحتلال أعمال السلب والنهب هي:

أ. الهاء الشعب العراقي عن علميات المقاومة للقوات الأمريكية والبريطانية.

ب. إشاعة عدم الاستقرار في الشارع العراقي وجعل العراقيين يتقاتلون فيما بينهم وتعميق الخلافات والمنازعات بين مختلف طوائف الشعب.

ت. غض الطرف عن العمليات اللاإنسانية التي تقوم بها قوات الاحتلال ضد أبناء الشعب العراقي.

ث. التغطية على السرقات المنظمة والمخطط لها مسبقاً من قبل قوات الاحتلال لكي يقولوا للعالم بأن الشعب العراقي هو السارق.

وانتقل العالم العربي من حالة الذهول لسقوط بغداد السريع، الى مرحلة التساؤل عن الذي حدث وكيف حدث؟ إذ حدث ذلك بعد أقل من (١٤) ساعة على ظهور وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف مساء يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٤/٨ وأكد بالصوت والصورة ان العراق لن يستسلم، وان وحدات الجيش العراقي "تتهيأ لسحق القوات الغازية المحبوسة داخل دباباتها، التي تصورت انها عن طريق قتل المدنيين يربحون الحرب ولكنهم لن يربحوها. (الاهرام, ٢٠٠٣, العدد ٤٢٤٩٣)ولم تكد مدينة بغداد تنهار حتى خرج سكان الأحياء التي دخلتها قوات الاحتلال وقد انقسموا أقسام عديدة، قسم يرحب بقوات الاحتلال وقسم راح ينهب ويسرق كل ما في طريقه من قصور وبيوت ودكاكين ومراكز إدارية وحكومية، أمام مرأى ومسمع قوات الاحتلال التي شجعتهم على ذلك، بل ساهمت معهم في النهب والسرقة, وأما القسم الثالث من الناس فقد انصرف يحرق صور صدام حسين ويسقط تماثيله البرونزية الضخمة ويحطم كل أثر له, وقسم آثر الصمت والترقب لما تسفر إليه الأحداث.ويرى الباحث إن من الظلم القول إن بغداد احتلت في يوم واحد, لأن بغداد لم تحتل إلا بعد (١٣) عاما من الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق منذ عام ١٩٩٠, وبعد إنهاك العراق بحروب لا طائل منها ولم تكن لها فائدة أو ثمرة تعود على الشعب العراقي بالخير, أحتلت بغداد بعد أن بدأت حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠ بسبب رفض العراق لإتفاقية الجزائر ١٩٧٥, وانتهت الحرب بعد ثمان سنوات من القتلى والجرحى الذين جاوزوا المليون شهيد وجريح والدمار للبنى التحتية والفوقية بالعودة الى اتفاقية الجزائر نفسها, أحتلت بغداد بسبب قرارٍ سياسي خاطئ دفع الحكومة العراقية الى غزو الجار الكويتي الشقيق, وتسبب الغزو بحرب الخليج الثانية ١٩٩١ والتي لم تكن أضرارها على العراق بأقل من حرب الخليج الأولى, أحتلت بغداد بحرب لم تكن متكافئة بكل أنواعها, فضلاً عن (٢٠) يوماً من القصف الجوي الرهيب الذي استخدمت فيه أفتك أنواع

---

[١] قناة أبو ظبي الإماراتية، ٢٠٠٣/٤/١٨.

[٢] مشاهدات الباحث ومعايشته لهذه الايام.

الأسلحة, فمن القنابل العنقودية إلى أم القنابل التي تزن (٩٠٠) كغم, كل ذلك كان سبباً من أسباب احتلال بغداد المفاجئ.وينبغي أن يدرك الأمريكيون والبريطانيون إن احتلال العراق لا يعني رضوخ الشعب العراقي وقبوله للاحتلال، ولا يمكن لأحد أن يتصور إنه سيقبل العراقيون مرة أخرى حكومة تقوده إلى المهالك, فالعراقيون قادرون على حكم أنفسهم.

٢. إعلان انتهاء العمليات العسكرية الرئيسة ضد العراق:

في ٢٠٠٣/٥/١ أعلن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش انتهاء العمليات العسكرية الرئيسة في العراق, مع بقاء القوات الأمريكية فيه إلى حين الانتهاء من مهام استقرار الأمن وإعادة الإعمار، وجاء إعلان بوش من على متن حاملة الطائرات إبراهام لنكولن العائدة من جبهات القتال قرب ساحل ولاية كاليفورنيا, (وودورد, ٢٠٠٤, ٥٨٦) إذ قال: "إن الحملة على العراق كانت انتصاراً في معركة ضمن إطار الحرب على الإرهاب، والتي بدأت بأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ وما زالت مستمرة", وأضاف بوش في خطابه: "إن واجب أمريكا تخليص العالم من الشر", مستشهداً بكلام من الكتاب المقدس: "فنقول للأسرى أخرجوا وللذين في الظلام اظهروا"، وتجنب الرئيس الأمريكي الإعلان عن انتهاء الحرب تماماً بدعوى ضرورة بقاء القوات الأمريكية في العراق إلى أن يستقر النظام ويستتب الأمن ويقبض على قيادات النظام السابق, وكانت القوات الأمريكية قد أصدرت قائمة بأسماء وصور (٥٥) مسؤولاً عراقياً مطلوباً البحث عنهم وقتلهم أو اعتقالهم وعلى رأسهم صدام حسين.ولكن المسؤولين الأمريكيين اعترفوا بأن الهدف من عدم إعلان نهاية الحرب هو تجنب التزام الولايات المتحدة الأمريكية بالاتفاقيات الدولية الخاصة بالحروب ومعاملة العراقيين معاملة الشعوب الواقعة تحت الاحتلال. (السبعاوي, ٢٠١٢, ٢٣١)وأكد الرئيس الأمريكي إن التحول من الديكتاتورية إلى الديمقراطية في العراق سيستغرق وقتاً, موضحاً إن الأمر يستحق بذل الجهد من أجل تحقيق هذا الهدف, ووجه بوش تحذيراً قوياً لدول تتهمها الولايات المتحدة بحيازة أسلحة الدمار الشامل ودعم المنظمات المحرضة على الإرهاب، قائلاً: "إن أي نظام خارج عن القانون له صلات بمنظمات إرهابية أو يسعى لإمتلاك أسلحة دمار شامل، يمثل خطراً كبيراً على العالم المتحضر وسوف تتم مواجهته". (الفهداوي, ٢٠٠٤, ١١٨)

وقبل ساعات من إلقاء الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إعلان نهاية عمليات القتال الرئيسة في العراق، كشفت مجلة نيوزويك الأمريكية النقاب عن إن بوش يفكر في تعيين "بول بريمر" الدبلوماسي في وزارة الخارجية حاكماً مدنياً للعراق، بحيث تكون له السلطة على الجنرال جاي كارنر المكلف بشؤون إعادة الإعمار في العراق, وقد صرّح بريمر عن سبب قبوله بهذا المنصب الخطير والمتعب بقوله: "لأنني أعتقد إن الولايات المتحدة الأمريكية قد أنجزت عملاً عظيماً بتحرير العراقيين, ولأنني أعتقد إن بوسعي المساعدة".

الخاتمة والاستنتاجات:

شكل احتلال الولايات المتحدة للعراق منعطفاً هاماً في تاريخ العراق المعاصر, إذ ان الاحتلال الامريكي لم يكن اعتباطاً او لتحقيق الحرية للشعب العراقي كما تزعم الادارة الامريكي, انما جاء من اجل اهداف في غاية الاهمية الاستراتيجية, فقد شكل العراق بموقعه الاستراتيجي المهم, وبثرواته الاقتصادية النفطية الهائلة مغنماً مهماً للولايات المتحدة الامريكية, إذ انها ارادت من العراق ان يكون منطلقاً نحو تحقيق اهدافها الاخرى وفق نظرية الدومينو, ومن ثم امكانية خلق قيم جديدة تعزز الوجود الامريكي بدلاً من القيم التي أُسقطت مع سقوط حجر الدومينو, لاسيما وان الادارة الامريكية آنذاك كانت قد افصحت علناً عنها بالقول: "ان القيم الامريكية قد باتت قيماً كونية ويجب ان تنتقل الى المجتمعات والانظمة السياسية في العالم", من هنا أُريد للعراق مكانة جديدة تختلف عن مكانته السابقة, ليتسنى لها ان تنقل قيمها اليه, وجعل العراق مثالاً رائداً ومروجاً وداعماً للمخططات والسياسات الامريكية في المنطقة, وانشاء قواعداً امنية وعسكرية لتنطلق منها وقت تشاء, ويكفي ان تكون السفارة الامريكية في بغداد اكبر سفارة في العالم مساحةً واعداداً, فقد وصل موظفوا السفارة الى زهاء (٤٠.٠٠٠) الف موظف, كما سعت جاهدة الى وجود حكومة ضعيفة موالية لسياساتها.

المصادر:

١-الجوجري, عادل, ٢٠٠٥, اسرار وخفايا المقاومة العراقية, دار الكتاب العربي, ط١, دمشق.

٢-الحمداني, رعد مجيد, ٢٠٠٧, قبل ان يغادرنا التاريخ, الدار العربية للعلوم ناشرون, ط١, بيروت.

٣-السبعاوي, د. احمد يونس, ٢٠١٢, احتلال العراق في المنظور الاستراتيجي الامريكي "الواقع والمستقبل", دار آمنة للنشر والتوزيع, عمان.

٤-صحيفة الاهرام, ٢٠٠٣, الاعداد ٤٢٤٧٣, ٤٢٤٨٠, ٤٢٤٨٣, نيسان, ابريل.

٥-الفالوجي, فريد, ٢٠٠٣, قصة الخيانة والسقوط, ماذا حدث في بغداد خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدام, دار الكتاب العربي, ط١, دمشق.

٦-الفهداوي, عمر جياد علي, ٢٠٠٤, موقف صحيفة الاهرام من حرب الخليج الثالثة, رسالة ماجستير مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, الجامعة المستنصرية.

٧-القصاب, عبد الوهاب, ٢٠٠٧, احتلال بعد الاستقلال التداعيات الاستراتيجية الامريكية للحرب على العراق, مركز دراسات الوحدة العربية, ط١, بيروت.

٨-كلارك, ريتشارد, ٢٠٠٤, في مواجهة جميع الاعداء, ترجمة: وليد شحاده, الحوار الثقافي, ط١, بيروت.

٩-كلير, مايكل, ٢٠٠٧, دم ونفط, ترجمة هيثم غانم, دار الشروق للطباعة والنشر, ط١, القاهرة.

١٠- كوردسمان, انتوني, ٢٠٠٣, انتشار اسلحة الدمار الشامل في دول محور الشر, ترجمة: عبد الوهاب القصاب, بيت الحكمة, بغداد.

١١- هيرش, سيمور, ٢٠٠٥, القيادة الامريكية العمياء من ١١ ايلول الى سجن ابو غريب, ترجمة: مركز التعريب والترجمة, الدار العربية للعلوم, ط١, بيروت.

١٢- هيكل, محمد حسنين, ٢٠٠٣, الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق, دار الشروق, القاهرة, ط٢.

١٣- وودورد, بوب, ٢٠٠٤, خطة الهجوم, ترجمة: فاضل جتكر , ط١, الرياض, العبيكان, السعودية.